ديوان (جراح الفجر)

للشاعر / رشاد محمد يوسف

فى ضوء نظرية الأدب الإسلامى

دكتور

عصمت محمد أحمد رضوان

مدرس الأدب والنقد فى الكلية

مقدمة

الحمد لله ذى القوة والحَوْل ، والعزَّة والطَّول ، الهادى إلى الطيب من القول .

والصلاة والسلام على النبى المليح ، الأغرِّ الفصيح ، صاحب القول الطيب الصحيح ، سيدنا محمد الهادى الأمين ،وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد:

فإن الأدب الإسلامى لون من الأدب السامى الرفيع ، الذى يرتفع عن لهو الحديث ، ويتسامى عن فاحش القول ، بل يجمع بين سمو الهدف ، وروعة الفن ، فينطلق داعيًا إلى مكرمة ، أو معالجًا لقضية ، أو ملتمسًا لعظة وعبرة .

وقد ولَّدت الأزمات التى أحاطت بالأمة الإسلامية فى الآونة الأخيرة جيلاً من الشعراء جعلوا من إبداعهم منبرًا ينادون من خلاله بإصلاح ما فات ، وتدارك ما بقى ، واصطبغ شعرهم بالصبغة الإسلامية الخالصة ، ومن هؤلاء الشاعر (رشاد محمد يوسف) الذى جاء شعره أنموذجًا للأدب الإسلامى الخالص ، ويعد ديوانه (جراح الفجر) تمثيلاً صادقًا لهذا الأدب الإسلامى المشتمل على موضوعات تتسم بالتنوع والأهمية ، المتضمن لخصائص الفن المتميز ، فجمع بذلك بين نبل المضمون ، وروعة الشكل .

لذا كان القصد إلى دراسة قصائد الديوان فى ضوء نظرية الأدب الإسلامى فى هذا البحث الموجز .

وقد جاء البحث بعد هذه المقدمة فى تمهيد ، ومدخل ، وفصلين ، وخاتمة على النحو التالى :

التمهيد :

يتناول الحديث بإيجاز عن الشاعر رشاد محمد يوسف وديوانه (جراح الفجر)

الفصل الأول :

يلقى الضوء فى إلماحة عجلى على نظرية الأدب الإسلامى .

الفصل الأول :

وعنوانه : الاتجاهات الموضوعية ، وهو يعالج أهم الموضوعات الإسلامية التى اشتمل عليها الديوان .

الفصل الثانى :

وعنوانه : الظواهر الفنية ، وهو يناقش أهم السمات والخصائص الفنية فى قصائد الديوان .

الخاتمة :

وتشتمل على خلاصة البحث وأهم نتائجه .

والله أسأل أن يجعل عملى هذا من قبيل العلم النافع ؛ إنه نعم المولى ونعم النصير .

والله الموفق وهو الهادى إلى سواء السبيل .

الباحث

تمهيد

الشاعر (رشاد محمد يوسف) وديوانه (جراح الفجر)

(تعريف موجز)

وُلد الشاعر (رشاد محمد محمد يوسف) فى قرية (سيدى سالم) بمحافظة كفر الشيخ سنة ١٩٣٣ م ، وبدأ تعليمه فى الكُتّاب ، ثم قطع مراحل التعليم الرسمية حتى حصل على الثانوية العامة سنة ١٩٥٧ م ، والتحق بكلية الحقوق فدرس بها بين عامى ١٩٥٨ و ١٩٦٢ م ، ثم عمل بالهيئة القومية للاتصالات ، وكان آخر منصب له مديرًا للشئون الإدارية بقطاع تليفونات شرق القاهرة ، وظل فيه حتى بلوغه سن التقاعد .

وقد ظهرت موهبته الشعرية منذ وقت مبكر حتى إنه حصل أثناء دراسته الثانوية على شهادة الامتياز فى الأدب من وزارة التربية ، وحصل على عدة شهادات تقدير من المجلس الأعلى للثقافة ، كما حصل على الميدالية الفضية فى الشعر من جامعة عين شمس سنة ١٩٥٨ م .

وقد نشر إبداعه الأدبى منذ وقت مبكر فى الصحف والدوريات المصرية والعربية ، وأذيع فى وسائل الإعلام المختلفة .

وله نشاط واسع فى الجمعيات والروابط الأدبية ؛ فهو عضو رابطة شعراء العروبة ، وعضو جمعية العقاد الأدبية ، وعضو نادى القصيد ، وعضو جمعية (أبولو) الجديدة ، ونائب رئيس رابطة الزجالين ، ورئيس جمعية الأدب والفكر المعاصر منذ سنة ١٩٨٣ م ، وظل عضوًا بمؤتمر الثقافة الجماهيرية بوزارة الثقافة لمدة خمسة عشر عامًا ، وأشرف على باب (شعر وشعراء) بمجلة الأزهر ما يقرب من عشر سنوات .

وقد حصل على عدد من الجوائز وشهادات التقدير ، كما حصل على المركز الأول فى مسابقة نادى القصيد سنة ١٩٩٠ م ، واختيرت عدة نصوص من شعره

وتقررت على تلاميذ المدارس فى جمهورية مصر العربية ، والمملكة العربية السعودية ، وسلطنة عمان ، وضمت الموسوعة الذهبية بعض قصائده .

وقد صدر لرشاد محمد يوسف عدد من الدواوين الشعرية منها : (من وحى العقيدة) ، و (وا إسلاماه) ، و (رجال وأشياه) ، و (جراح الفجر) ، وله تحت الطبع ديوان (أشواق الناى) [1] .

ويُعد ديوانه (جراح الفجر) من أهم هذه الدواوين وأثراها من الناحيتين الموضوعية والفنية ، وقد قامت الهيئة المصرية العامة للكتاب بطبعه سنة ١٩٩٨ م .

ويقع الديوان فى إحدى وستين ومائتى صفحة من القطع المتوسط ويضم ستًا وأربعين قصيدة ينتمى أكثرها إلى الاتجاه الإسلامى .

* * *

(١) راجع ترجمة الشاعر فى : معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين - إعداد هيئة المعجم ٢ / ٣٣٤ - ط مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين - الطبعة الأولى ١٩٩٥ م ، ومعجم الشعراء فى بدء عصر النهضة - إعداد الدكتور / إميل يعقوب ١ / ٤٣١ - ط دار صادر - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م .

مدخل

نظرية الأدب الإسلامى

(إطلالة عامة)

الأدب الإسلامى هو أدب الأمة المسلمة ، وهو أدب قديم حديث ، بدأ بنزول القرآن الكريم ، وانطلاق الدعوة الإسلامية ، فكتاب الله العزيز هو الذى وضع أسسه ، ورسم ملامحه ، وهو الذى قسم الكلمة قسمين : طيبة وهى كلمة الإسلام والإيمان ، وخبيثة وهى كلمة الكفر والضلال ، والقرآن الكريم - كذلك - هو الذى صنف الشعراء إلى فريقين : الغاوين والمؤمنين ، فكان ذلك بذرة الأدب الإسلامى التى غرست وترعرت ، وبسقت منها شجرة ممتدة الجذور والأغصان على مر العصور [1] .

والأدب الإسلامى يعنى - فى حقيقته - التجربة الشعورية التى تنبع من الوجدان والخواطر المفعمة بالقيم الإسلامية فى بناء فنى يعتمد على وسائل التأثير والإقناع من الألفاظ الفصيحة ، والأسلوب البليغ ، والنظم الدقيق ، والتصوير المحكم بالخيال والعقل معًا ، والاتساق فى الإيقاع المتدفق بأشكاله المتعددة [2] .

والأدب الإسلامى يعتمد على الفائدة الخلقية إلى جانب التعبير الجميل ، لأن المتعى مهما يكن حظه من الشرف والسداد والصحة فلن تتعطف عليه جوانب النفس أو تلامس شغاف القلب إذا لم يجد له سكنًا جميلاً فى حُلى الألفاظ ، وممتع الصور ،

(١) انظر : ملامح فى الأدب والنقد - للدكتور / وليد قصاب - ط دار البشائر - الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٦ م .

(٢) راجع : الأدب الإسلامى بين النظرية والتطبيق - للدكتور / على على صبح ١ / ٩ - ط الهيئة بالقاهرة ١٩٩٨ م .

ومطرب النغم التى تتناغم فى إحداث القدرة التأثيرية فى التمكين للمعانى وتعميل الاستجابة لها [١] .

وللأدب الإسلامى معالمه التى تحدده وتوضح ملامحه ، ومن هذه المعالم :

- انطلاق التجربة الشعورية إزاء موقف إنسانى معين .
- الخواطر والأفكار التى تمتد جذورها إلى شريعة الإسلام .
- العاطفة الصادقة التى تعبر عن إخلاص الأديب وصدقه .
- اللفظ الفصيح الصحيح المجرد من الخطأ واللحن والسوقية والعامية .
- الوجدان المفعم بالقيم الإسلامية ، الثرىّ بخُلق القرآن والسنة .
- الأسلوب البليغ والنظم الدقيق الذى يتخذ من القرآن والسنة مثله الأعلى .
- التصوير الأدبى المحكم بالخيال والعقل معًا .
- الإيقاع الموسيقى وهو فى الشعر ينصرف إلى الوزن العمودى من البحور العروضية والقافية [٢] .

ولنظرية الأدب الإسلامى – بهذا التحديد ، وبتلك الملامح – تميزها وتفردها ، ولها كذلك جمالياتها الخاصة التى قد تلتقى فى جوانب منها مع التجارب الأدبية فى المذاهب الأخرى ، ولكنها – من غير شك – ذات خصوصية معينة تجعلها فى صورتها العامة متفردة فى مضمونها ورؤيتها [٣] .

---

(١) انظر : نحو منهج إسلامى فى رواية الشعر ونقده – للدكتور / مصطفى عليان ص ١٥٧ ، ١٥٨ – ط دار البشير – عمان – الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .

(٢) واجع : الأدب الإسلامى بين النظرية والتطبيق – د / على على صبح ص ٩ : ١٠ .

(٣) انظر : مقالات فى الأدب والنقد – د / وليد قصاب ص ١٠١ .

وسأقوم فى الصفحات التالية – بعون الله تعالى – بعرض التجربة الشعرية لرشاد محمد يوسف فى ديوانه (جراح الفجر) فى ضوء هذه النظرية للأدب الإسلامى من الوجهتين الموضوعية والفنية .

* * *

الفصل الأول

الاتجاهات الموضوعية

يضم الديوان عددًا من الموضوعات التى تنتمى إلى حديقة الشعر الإسلامى ، ويمكن تقسيم قصائده فى ضوء نظرية الأدب الإسلامى إلى عدد من الاتجاهات الموضوعية ، أتحدث - بعون الله تعالى - عن كل اتجاه منها فى مبحث مستقل من مباحث هذا الفصل .

المبحث الأول

فى المحراب الإلهى : ابتهال ودعاء

فى المحراب الإلهى يقف الشاعر متضرعًا إلى ربه ، يسبح بحمده ، ويقدس له ، فهو (سبحانه) المنزَّه عن الصاحبة والأولاد ، الغنى عن الشركاء والأنداد ، الذى جلّ عن شبيه يماثله ، أو نظير يشاكله ، هوالأول فلا شىء يسبقه ، والآخر فلا شىء يلحقه :

تنزَّه اللهُ لا وزجٌ ، ولا ولدٌ ∴ ولا شريكٌ ، ولا خِلٌّ ، وزوجاتُ

اللهُ (سبحانه) ما مثلُه أبدًا ∴ شىءٌ من الخلق ، أو رسم وهيئاتُ

اللهُ (سبحانه) لا شىء يسبقه ∴ كلا ، ولا قبله كانت بدياتُ

اللهُ (سبحانه) لا شىء يعقبه ∴ كلا ، ولا بعده تبقى نهاياتُ [1]

---

(١) ديوان (جراح الفجر) للشاعر / رشاد محمد يوسف ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨م

وهو (سبحانه الخالق المقتدر ، الذى خلق كل شىء بقدر ، أمره بين الكاف والنون ، ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [1] . يقول الشاعر [2] :

قد أبدع الكونَ إحكامًا بقدرته ∴ فكل شىء له قدرٌ ومِيقاتُ

الخلق والأمرُ والأرزاق فى يده ∴ ما بين حرفين أعمارٌ وأقواتُ

وفى هذا المحراب الروحى يسجد الشاعر (سجدة فى طريق النور) [3] يلهج فيها لسانه ووجدانه بالشكر والتسبيح ، ويواصل الذكر والدعاء ، يتلمس النور لعينه الظمأى ، ويلتمس الاطمئنان لنفسه الحيرى ، التى ذابت فى المناجاة طامعة فى غفران ذنوبها :

يطهرُ بالشكر لسانى ∴ ويسبِّح حمدًا وجدانى

والقلبُ بذكرك موصولٌ ∴ يسبِّح فى بحر الإيمان

والعينُ لغيرك لا ترنو ∴ تتمنَّى نورَ العرفان

والنفسُ الخاطئةُ الحَيرى ∴ تتلمَّس أىَّ اطمئنان

ذابتْ فى النجوى هائمةً ∴ تَغفو لرحاب الغفران

ويشكو الشاعر إلى ربه ظلماء ذنبه التى تحرقه ، وخشية النار التى تزرقه ، فهو لا يزال سائرًا فى طريق عصيانه ، وقد أثقلته أحزانه ، شابت نواصيه ، ولم يرتدع مما هو فيه :

يا نور النور تطاردنى ∴ ظلماء تحرق أجفانى

---

(١) الآية (٨٢) من سورة يس .

(٢) الديوان ص ٢٥٦ .

(٣) القصيدة للشاعر فى الديوان ص ٢١٣ - ٢١٦ .

خاتمة

الحمد لله العزيز الحكيم ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم .

والصلاة والسلام على النبي العربي الكريم ، عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

أما بعد ، فقد وفق الله (عز وجل) وأعان على إتمام هذا البحث الذى تحدث في ديوان (جراح الفجر) للشاعر رشاد محمد يوسف فى ضوء نظرية الأدب الإسلامى ، والقى الضوء إلى الديوان وصاحبه فى إيجاز ، وألقى الضوء على نظرية الأدب الإسلامى ، ثم عرض لأهم الإتجاهات الموضوعية فى الديوان ، ثم تناول أهم الظواهر الفنية التى اشتمل عليها .

وقد تمثلت أهم النتائج التى توصل إليها البحث فيما يأتى :

- تعددت قصائد الابتهال والدعاء ، والقصائد التى تبين خُلُق النبى الكريم ﷺ وترصد سيرته من أهم الموضوعات الإسلامية التى اشتمل عليها الديوان .
- عبرت قصائد الشاعر عن البلد الحرام والمسجد الأقصى غاية فى القوة والإحكام ، ومثالاً للشعر الإسلامى الصادق .
- عبر الشاعر عن شهر رمضان والقرآن الكريم ، وبين ماهما من فضل عظيم ، ومكانة سامقة .
- عالج الديوان قضية ضعف الأمة الإسلامية ، وتغير أحوال المسلمين ، كما ناقش أزمة الدار الأخلاق فى مجتمعنا المعاصر .
- عرض الديوان صورًا مشرقة لصحابة الرسول الكريم (رضى الله عنهم) ودعا إلى السير على نهجها .

- تميز المعجم الشعرى للديوان بأصالة المفردة الشعرية ، وسهولتها ، وإيحائها .
- تنوعت الأساليب الشعرية فى الديوان بين السهولة والرصانة ، والخبرية والإنشائية ، وشاع فيه استخدام أسلوب الحكمة .
- كثر فى قصائد الديوان الاقتباس القرآنى والتأثر بالحديث الشريف .
- استلهم الشاعر قصص الأنبياء (عليهم السلام) ، كما استدعى مواقف من سيرة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) .
- اتسمت الصورة الشعرية فى الديوان بالبراعة والروعة ، كما تميز البناء الموسيقى له بالإحكام والتناسق .

والحمد لله أولاً وآخرًا